

ضريح عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول ﷺ

محمد صادق النجمي

ارتأينا من المناسب ذكر بحث كلامي ولو بصورة موجزة حول إيمان والدي النبي ﷺ:

فقد تأكد لدى علماء الشيعة ومُتَكَلِّمِيهِمْ وكذا بعض علماء أهل السُّنَّة ومُتَقَفِّهِمْ، وللأدلة من آيات وأحاديث من كلا الطريقتين السني والشيعي، أنَّ والدَ الرسول الأعظم ﷺ وكذلك أجداده الكرام كانوا جميعاً مؤخِّدين، وأنَّ أيَّاً منهم لم تلوِّثه أدران الشرك أو الوثنية. وليست مسألة انتقال نور وجوده المقدَّس عبر الأرحام العفيفة

يعدُّ المرقد الشريف لعبدالله بن عبدالمطلب - والد الرسول الكريم ﷺ - من الآثار المعروفة في المدينة المنورة، التي تقع خارج البقيع، حيث كان محلاً للزائرين حتى عام (١٩٧٦م) فبعد أن كان بناءً مشيداً ضمَّ الجسد الطاهر لعبدالله كما ذكرته كتب التاريخ، تمَّت إزالته بحجة توسيع مسجد النبي ﷺ والساحات التي تُحيط به، ولم يبقَ أيُّ أثر له اليوم.

قبل الدخول في تفاصيل وكيفية تشييد هذا الضريح على مرِّ التاريخ

في تفسيره «أنوار التنزيل» على ذلك منها الآية: «الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين»^(١). يقول الفخر الرازي، (والكلام للسيوطي): «يعتقد المفسرون أن المراد من الآية الشريفة «وتقلبك في الساجدين»، انتقال نطفة الرسول ﷺ من صلب الساجدين والموحدين والمعترفين بوحدانية الله واحداً بعد آخر. وهذه الآية دليل واضح على أن جميع آباء النبي ﷺ كانوا موحدين وحُنفاء لم يسجدوا إلا لله ولم يعبدوا إلا إياه». كما في قوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات».

وجاء في القرآن الكريم كذلك: «إنما المشركون نجس» فلو كان أجداد النبي ﷺ وجدّاته مشركين، لما كان ﷺ أيدّ طهارتهم وأوثق عقبتهم. ثم قال السيوطي بعد نقله لأدلة أخرى عن الفخر الرازي:

إنّ الفخر الرازي بإيمانه واعتقاده بقداسة وطهارة أجداد الرسول ﷺ وبيانه لهذه الأدلة، إنّما يضفي بذلك

والأصلاب الطاهرة حتى استقراره في صلب عبدالله الموحّد ورحم أمته المؤمنة مقتصرة عليه ﷺ وحده، بل إنّ الأنبياء الآخرين يمتلكون مثل هذه الخصوصية أيضاً إذ وُلدوا جميعهم من أبوين طاهرين.

نظرة علماء أهل السنة:

لجلال الدين السيوطي، صاحب تفسير «الدر المنثور» ومؤلف كتب كثيرة أخرى، وأحد الشخصيات العلمية الموثوقة عند أهل السنة، بحث طويل ومُسهب، نوجزه هنا:

يقول السيوطي في بحثه المذكور: لقد ثبت أن أجداد النبي وأمه وأباه، الذين كانوا حُنفاء على دين جدهم إبراهيم عليه السلام ويعملون بشرائعه، كما كان الحال مع كثير من الأشخاص في جزيرة العرب من أمثال ورقة بن نوفل وزيد بن عمر بن نفيل، الذين كانوا موحدين يعبدون الله وحده.

ويضيف السيوطي قائلاً: تعتقد مجموعة من علمائنا ومنهم الإمام فخر الرازي بهذا الرأي، وقد أورد عدّة أدلة

٤ - السَّبيل الجليّة في الآباء العليّة (٣).

نظرة علماء الشيعة:

إنّ مسألة إيمان والدي الرسول ﷺ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وطهارتهم بل وقداسة ولادة جميع الأنبياء هي من المسلّمات بل من السّمات البارزة في عقيدة الشيعة.

يقول الفخر الرازي: «قالت الشيعة: إنّ أحداً من آباء الرسول وأجداده ما كان كافراً...» (٤).

وكلام الرازيّ هذا دليل واضح على عقيدة الشيعة واتفق علماءهم حول هذا الموضوع، بل إنّ هذا الأمر كان نفسه جزءاً من عقيدة أهل السنة ومن المسلمات عندهم.

يقول المجلسيّ رحمه الله: اتّفقت الإمامية - رضوان الله عليهم - على أنّ والدي الرسول وكلّ أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصّديقين: إمّا أنبياء مرسلون أو أوصياء معصومون، ولعلّ بعضهم لم يُظهر الإسلام لتقيّة أو لمصلحة دينيّة (٥).

الأدلة:

تتسم الكتب الكلامية وكتب

عظمة وفخراً؛ لكونه أحد أكبر وأعظم أئمة الدين، والشخصية العلمية الفذة، التي تمكّنت من الإجابة عن كثير من التساؤلات، ومختلف المسائل العلمية في زمانه.

وبدأ السيوطي بتأييد نظرية الفخر الرازي، وذلك بيانه لعدّة أدلّة عقلية ونقلية، مورداً بعض الأحاديث عن البخاري والبيهقي وأبي نعيم ومحدّثين آخرين محاولاً إثبات صحة هذا الموضوع، وبالإشارة إلى الأدلّة التي أوردها الشهرستاني والماوردي (٢).

هذا وقد قام بعض علماء أهل السنة بتصنيف الكثير من الكتب والمؤلفات حول مسألة إيمان أجداد الرسول ﷺ ووالديه، وبنفرد السيوطي وحده بمؤلفاته الأربعة حول هذا الموضوع وهي:

١ - الدرج الرّفيعة في الآباء الشريفة.

٢ - المقاصد السّندسيّة في النسبة المصطفويّة.

٣ - التعظيم والمثّة بأنّ أبوي رسول الله ﷺ في الجنّة.

إبراهيم عليه السلام مُسْتَمْسِكِينَ بِهِ»^(٧).
لِمَ يُتَّهَمُ أَجْدَادُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالشِّرْكِ؟!

كلّنا نعلم أنّ زمام السلطة السياسية للإسلام، ومصير الأمة الإسلامية في القرن الأول الهجري كان بيد أشخاص هم سليلو الشرك والوثنية، فقد كان آباؤهم وأجدادهم والأقربون لهم ممّن ترعرعوا على عبادة الأصنام والجاهلية الأولى، وليس هذا وحسب بل إن كثيراً من آبائهم وأقوامهم قُتِلُوا في سوح المعارك، التي جرت بين المسلمين وأولئك الوثنيين، ممّا حدا بالتأريخ إلى سَمِّهم بالوثنية وبعار الشرك على مدى العصور، فكفى بهذا الأمر دافعاً إلى تنسيبهم أجداد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآبائه إلى زمرة آبائهم وأجدادهم هم، وهو أمر كان لا بد منه لحلّ معضلتهم هذه حتى يتخلصوا من لعنة التأريخ وغضب الأجيال المسلمة في المستقبل.

فقاموا، إثر ذلك، بنقل أحاديث ملفقة وكاذبة على لسان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل:
«إنّ رجلاً قال يا رسول الله أين

التفسير عند الشيعة بإيراد أدلة متعدّدة سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة، كلّما تطرّقوا إلى مسألة إيمان أجداد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وللإيجاز نكتفي بالآيتين اللتين استشهد بهما الفخر الرازي على إيمان أجداد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهما: «الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين».

ولأننا قننا بيان وتوضيح تفسير هذه الآية نقلاً عن الفخر الرازي في الصفحات الآتية فلا داعي لتكرار ذلك.
الروايات:

أ - جاء في حديث نبويّ شريف يُخاطب أمير المؤمنين علي عليه السلام ما يلي:
«يا عليّ، إنّ عبدالمطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذُبِحَ على النّصب، ويقول أنا على دين إبراهيم عليه السلام»^(٦).

ب - قال الأصمغ بن نباتة أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:
«والله ما عبد أبي ولا جدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ. قيل فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يُصلّون إلى البيت على دين

أبي؟ قال: في النار، فلما قفي دعاء، إنَّ
أبي وأباك في النار!»^(٨).

**حادثة زيارة الرسول ﷺ لقبر
والدته وتحريف ذلك:**

ورد أن النبي ﷺ توقّف في «الأبواء»
عند قبر أمّه «آمنة» بعد عودته من فتح
مكة ورجوعه الى المدينة. فجلس عند
رأسها، وبعد استذكار تضحياتها
ومشاقفها، لم يتمالك نفسه، وشرع
بالبكاء حتى تأثر أصحابه وشاركوه
بالبكاء والتحبيب.

وقد لاحظ الصحابة جميعهم يومئذ
أحاسيسه وعواطفه تجاه أمّه في ذلك
المشهد المعبر والمؤثر، ومدى احترامه
وتقديره لها ولجهودها التي بذلتها في
سبيله. وما كان لمشهد مؤثر وحساس
كهذا أن يُنسى بالسهولة التي يشتهبها
البعض خصوصاً في ظروف كتلك التي
هيأت له هذا الأمر وبحضور آلاف
مؤلفة من المسلمين وقتئذ من الذين
يُرافقونه في هذه الرحلة، ولم تكن
حادثة عابرة يمكن للتأريخ أن يطوي
صفحتها دون وضع بصمات لها على
الصفحات التالية. إلا أننا نرى، مع

الأسف الشديد، تدخل أيدي ماهرة
تمكّنت من تحريف الواقعة والتصرف
فيها خدمة لأغراضهم الشخصية، تماماً
كما حصل لحادثة «الغدير» وهي أشهر
من نار علي علم، عندما اجتهدوا فيما
تعنيه كلمة «مولى» المذكورة في تلك
الحادثة، وادّعوا قائلين: إنَّ مسألة
زيارة النبي ﷺ قبر أمّه وبكائه عندها
وإبكاء صحابته كذلك لا عُبار عليها،
إلا أن تصرف الرسول ﷺ هذا لم يكن
دليلاً على إيمان أمّه. أو شاهداً على أنها
كانت مؤحّدة، والدليل على ذلك أن
النبي ﷺ ذكر عبارة بعد هذه الحادثة
مباشرة دلّت دلالة واضحة على شرك
أمّه وكفرها وهو ما يؤيّد الحديث
التالي (بزعمهم):

«عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ
قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال
استأذنتُ ربّي في أن استغفر لها، فلم
يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها
فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر
الموت».

وقد وردَ هذا الحديث المنقول عن
أبي هريرة في صحيح مُسلم^(٩) وسنن

واحدة تتمثل بكفره الباطنيّ وحقده الدفين في قلبه، فإنّ للمشرك خصلتين أسوأ من تلك؛ لأنّ المشركين كافرون باطناً وظاهراً، ويلهجون بالكفر بألسنتهم وقلوبهم، وينكرون الله ورسوله ويكفرون بهما؛ لذا كان من الطبيعي أن يكون ذلك النهي أشد في المشركين منه في المنافقين، وعدم الدعاء أو الوقوف عند قبورهم، لا كما أدعى ناقلو الحديث أنّ الدعاء والوقوف عند قبر المنافق ممنوع، وأنّه يجوز مقابل ذلك الوقوف عند قبور المشركين دون الدعاء لهم.

٢ - إذا كان الحديث الذي نقله أبو هريرة يدلّ على عدم رضا الله عن آمنه، ومنع رسوله ﷺ من الاستغفار لها، فإنّ لدينا في مقابل ذلك حديثاً آخر نقله لنا الصحابيّ الجليل عبدالله بن مسعود أنّ رسول الله ﷺ لما وصل قبر أمّه قال: «هذا قبر آمنه، دلّني جبرائيل عليه»^(١٥)، ولا شكّ في أنّ حديث الرسول ﷺ الذي نقله عبدالله بن مسعود يُشير بكلّ وضوح وجلاء الى عظم شخصية آمنه وقداستها حين

النسائي^(١٠) وابن ماجه^(١١) وأبي داود^(١٢) وتأريخ المدينة لابن شَبَّه^(١٣) واستدلّ أصحابُ السنن الثلاثة المذكورة بمضمون الحديث على جواز زيارة قبور المشركين، وأفردوا لهذا الحديث باباً خاصاً في سننهم تحت عنوان: «جواز زيارة قبر المشرك».

الحديث المذكور يُناقض القرآن:

لسنا في صدد الجواب عن هذا التحريف الوارد بشكل حديث، إلا أننا لا نرى مفراً من التنويه الى ثلاث نقاط مهمة:

١ - يتنافى هذا الحديث ومضمون الآية الشريفة: «ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون»^(١٤).

فهذه الآية كما نلاحظ لا تمنع المسلم من الدعاء والصلاة على قبر المشرك أو المنافق فحسب، بل إنّها تحرّض بل وتنهى المسلمين كافة حتى من مجرد الوقوف على قبورهم؛ لأنّهم استبطنوا الكفر بالله ورسوله، ولو كان المنافق كما هو معهود عنه يمتلك خصلة سيئة

النَّابِغَةَ» وهو مكان دفن والد الرسول ﷺ والتحوُّلات التي حدثت على ذلك المكان على مرِّ التَّأْرِيخِ:

موجز تأريخ دار النَّابِغَةَ:

كان دار النابغة بيتاً يقع بين بيوت قبيلة بني النَّجَارِ في المدينة في الطرف الغربي لمسجد النبي ﷺ، وكانت تلك الدار لشخص من القبيلة نفسها يُدعى «النابغة». وقد نزل عبدالله في المدينة عند هذه القبيلة أثناء رجوعه من رحلة الى الشام؛ لما كانت تربط بين أمنة زوج عبدالله وبني النجار من وشائج وروابط عائلية. وحدث أن مرض عبدالله عندهم فتوفي إثر ذلك، فووري جسد الطاهر الثرى في تلك الدار كما كان متعارفاً في ذلك الزمان.

وقد سافر النبي ﷺ مع والدته وهو في سنِّ السادسة لزيارة أهلها وقومها من بني النجار في المدينة، فنزلا عندهم كما فعل أبوه عبدالله من قبل، وأقاما في نفس الدار شهراً كاملاً. وقد قال الرسول ﷺ أثناء هجرته الى المدينة وخلال إحيائه لتلك الذكريات التي مرّت في طفولته: «قبر أبي عبدالله

يكون جبرائيل نفسه هو الذي دلّ الرسول ﷺ على قبرها.

٣- والنقطة الأخيرة هي أنّ حديث أبي هريرة غير مقبول حتى عند بعض المحقّقين من علماء أهل السنّة أنفسهم؛ وذلك لصريح مخالفته لنصّ القرآن ومنافاته له، وكما ذكرنا فإنّ علماء بارزين كالفخر الرازي والسيوطي أهملوا حتى الإشارة الى هذا الحديث، واعتقدوا بإيمان والذي الرسول ﷺ وأتمها كانا موحدّين تماماً كما هو الحال مع علماء الشيعة، وقاموا بتأليف عدة كُتُب في هذا المضمار.

مسجد دار النابغة (أو ضريح والد الرسول ﷺ):

إنّ التحريف والتصرّف اللذين طرأ كلٌّ منهما على حادثة زيارة الرسول ﷺ قبر أمّه واللذين بيّنا الهدف من ورائها وكيفية تليفيها، طالا كذلك قصة قبر وضريح عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول ﷺ وزيارة النبي ﷺ لذلك القبر وصلاته عنده كما سنرى ذلك، ولن يتسنّى لنا الوقوف على إشكالات هذه المسألة إلا بعد تعرّفنا على تاريخ «دار

القبر وبناء محراب بالقرب من ذلك الضريح، فتمّ بذلك حفظ السّمات المهمة في تلك الدار وأعني القبر والمسجد اللذين تضمّهما تلك الدار.

ولقد كان معظم الزائرين، الذين لم تكن لديهم معلومات كافية عن وجود المسجد في تلك البقعة، يعتقدون أنّ هذه الدار إنّما هي مكان دفن عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول ﷺ لا كونها مسجداً كذلك. ويسود الاعتقاد أنّ السبب الرئيس الكامن وراء الحفاظ على هذه البقعة من قبَل المسؤولين حتى عام (١٩٧٦م) بالرغم من كونهم قد هدموا تقريباً جميع الأماكن الأثرية والدينية في المدينة وسائر مُدن الحجاز قبل سبعين سنة من ذلك التاريخ وساووها بالأرض، هو كون تلك الدار تحمل عنوان المسجد، لا بسبب وجود قبر عبدالله والد الرسول ﷺ الذي يعدُّ كافراً ومشرِكاً!

دار النابغة مكان دفن عبدالله:

يقول الواقدى (توفي ٢٣٠هـ) عن عبدالله بن عبدالمطلب ووفاته في المدينة ما يلي:

داخل هذه الدار كذلك».

وبسبب زيارة النبي ﷺ لتلك الدار في الهجرة، وصلاته عند قبر والده في بعض الأحيان، دُعيت تلك الدار بـ«مسجد دار النابغة» أيضاً.

وكان مؤرخو المدينة يذكرون كلتا التسميتين لدار النابغة حتى القرن الثالث الهجري، وقد أشاروا مراراً إلى أن تلك الدار هي محل دفن عبدالله، وهي كذلك المسماة بـ«مسجد دار النابغة». لكنّ الكُتّاب والمؤرخين، وبعد فترة وجيزة من ذلك التاريخ، وخدمةً للمصالح الشخصية والنوايا السياسية كما نوّهنا آنفاً، أودعوا قبر عبدالله في دار النابغة عالم النسيان، وجاهدوا في طي تلك الصفحة من التاريخ تماماً كما فعلوا مع قبر أمّ الرسول ﷺ وزيارة النبي ﷺ له، بل حاولوا جاهدين كتم أمر دفن عبدالله في ذلك المكان ومنع التحدّث عن ذلك أصلاً! حتى غَدَت دار النابغة عند الكثيرين مجرد مسجد لا غير.

وقد دام هذا الوضع حتى القرن العاشر تقريباً حيث أُحدِث بناءً جديدٌ لدار النابغة، وتمّ نصب الضريح على

«وُدْفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ...»^(١٦).
وقال ابن شبة (توفي ٢٦٢هـ) أيضاً:
«قبر عبدالله بن عبدالمطلب في دار
النابغة»^(١٧).

ونقل ابن شبة كذلك عن كتاب
«تاريخ المدينة» لعبدالعزیز الذي كان
معاصراً لسنة (٩٥هـ) قوله: «أنه عُرِفَ
وُدِّلَ عَلَى الْمَكَانِ الدَّقِيقِ لِقَبْرِ عَبْدِاللهِ
وَالَّذِي يَقَعُ فِي مَسْتَهْلِ الدَّخُولِ إِلَى دَارِ
النابغة على يسار الداخل إليها»^(١٨).
وقال الطبري (توفي ٣١٠هـ):
«وُدْفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ فِي الدَّارِ الصَّغْرَى
إِذَا دَخَلْتَ الدَّارَ عَنْ يَسَارِكَ لَيْسَ بَيْنَ
أَصْحَابِنَا فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ»^(١٩).

وتجدر الإشارة إلى أن نظريات
وأقوال المؤرخين، وبالأخص منهم
الذين كتبوا عن تأريخ المدينة حول هذا
الموضوع كثيرة ومُسهبة يطول شرحها
ونقلها هنا.

مسجد دار النابغة:

نقل ابن شبة من خلال عدّة روايات
أن من بين الأماكن والبقاع، التي زارها
النبي ﷺ وصلّى فيها هي دار

النابغة^(٢٠).

ويدلّ تعدّد هذه الروايات على أنّ
الرسول ﷺ كان يكرّر من زيارته
لتلك الأماكن والصلاة فيها، ونستوحي
من ظاهر تلك الروايات أنّ كلّ راوٍ
للرواية إنّما قام بتدوين ما شاهده هو
بعينه، وشرع في نقل ذلك عبر سطور
مؤلّفه، ويُستبعد كونهم عاصروا بعضهم
بعضاً في فترة زمنية واحدة، وأنهم
شاهدوا الرسول ﷺ يصلي تلك الصلاة
مرة واحدة فقط، ثم يقومون بنقل ذلك
من خلال عدّة روايات لهم.

وقد أشار السهمودي (من علماء
أوائل القرن العاشر الهجري) إلى مسجد
النابغة هذا ضمن بيانه وعدّه لمسجد
المدينة آتئذٍ، ثم ينقل كلام ابن شبة^(٢١)
السابق مضيفاً عليه نقطتين أخريين:

أ - ودار النابغة هي المرادة بما رواه
ابن شبة. قبر عبدالله بن عبدالمطلب
يعني والد رسول الله ﷺ في دار النابغة.

ب - أنّ داره كانت غرب المسجد
النبيّ عند بني جديلة^(٢٢).

وقد أتبع مؤلف كتاب «عمدة الأخبار»
وكان معاصراً لابن شبة نفس أسلوبه،

الذي يضمّ قبر عبدالله ومسجد النابغة قبل القرن العاشر بهذا الشكل الذي نراه اليوم أم لا. إلا أنّ الفترة التي تلت ذلك التاريخ كشفت عن بناء مهيب وراقٍ نسيباً على قبر عبدالله، قام به بعض السلاطين العثمانيين، ثم بنوا ضريحاً عليه وأقاموا عنده محراباً؛ لكي يتمّ بذلك الحفاظ على كلاً عنواني المكان باعتباره مقبرة ومسجداً. وكانت تلك البقعة الطاهرة ملاذاً وموتلاً للزائرين وموضع تقدير كتّاب تلك الفترة، الذين تطرقوا إلى ذكر تفاصيلها. ومع تهديم وتخريب كافة البقاع والأماكن داخل وخارج البقيع، إلا أنّ مقبرة عبدالله ظلّت صامدة حتى عام (١٩٧٦) حيث قاموا بسدّ الباب الداخل إلى المقبرة بالصخر والآجر، ولم يكن هناك سبيل للدخول إليها.

وقد قمتُ مع جمع من الزائرين بزيارة تلك البقعة الشريفة، الواقعة داخل زقاق ضيق، وكان ذلك عام (١٩٧٥) أثناء تأدية مناسك حجّ التمتع، وقد تمّت تلك الزيارة من خارج بابها، وعند تشرّفي بالعمرة بعد عدة شهور

فبعد تعريفه لمسجد النابغة قام بنقل كلام ابن شبة، الذي ذكر فيه أنّ دار النابغة تضمّ كذلك قبر عبدالله كما أشرنا (٢٣).

إلا أنّ أياً من مؤرّخي المدينة هذين، وبعض آخر من الكتّاب في القرون المختلفة، لم يتطرق إلى مسألة قبر عبدالله على أنّها موضوع مُستقلّ.

إنّ ما يمكن الوصول إليه من خلال تلك الأقوال والآراء هو أنّ الرسول ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة، ومع مشاغله الكثيرة ومهامّه الصعبة لم ينسّ دار النابغة على أنّها قبر والده عبدالله أبداً، وكان إضافة إلى ذلك ينوّه بين الفينة والفينة إلى أهمية هذا المكان وتأريخ القبر وما إلى ذلك، وكان غالباً ما يُصليّ عند ذلك القبر، وهي حقيقة اعترف بها مؤرّخو القرون الأولى للهجرة، إلا أنّ الاتجاه نحو كون هذا المكان مسجداً غلبَ على صفة تلك الدار باعتبارها مرقداً أو ضريحاً، وهو تحريف لحقائق تاريخية سواءً أكان مقصوداً أو غير مقصود.

بناء مكان قبر عبدالله وتخريبه: ليس واضحاً لدينا ما إذا كان البناء

البقيع، ضريحُ عبدالله بن عبدالمطلب والد النبيِّ وهو بداخل المدينة»^(٢٥). وأشار الكتابُ الفرس كذلك الى مدفن عبدالله باعتباره بقعة طاهرة من بقاع المدينة، من أمثال: فرهاد ميرزا^(٢٦)، ونائب الصدر الشيرازي^(٢٧) والسيد إسماعيل المرندي^(٢٨) وعدد آخر من كُتّاب الرحلات.

وعند تشرف حسام السلطنة بزيارة مكة عام (١٢٩٧هـ) كتب قائلاً:

«خرجتُ من منزلي في يوم الاثنين العاشر من محرم قاصداً زيارة مقبرة جناب عبدالله والد الرسول ﷺ وكذلك زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، وتقع مقبرة ذلك الرجل العظيم في سوق الطوال على يسار الزقاق، وتحتوي المقبرة المذكورة على فناء صغير يُقابلة إيوان. وتقع باب المقبرة في يسار فضاء الإيوان. كانت الباب مُغلقة، وانتظرنا مدة من الوقت حتى تمَّ إحضار السادن، ففتح الباب ودخلتُ البقعة وبدأنا بأداء مراسم الزيارة، وتحتوي المقبرة على ضريح من الخشب، وتُحيط بمضجعه الشريف قماشة وردية مُطرزة، قامت بخياطتها

من تلك الزيارة لاحظت عملية هدم تلك البقعة والبيوت والسوق، التي كانت حولها بحجة توسيع المسجد والساحات التي حوله، فضُمَّت تلك الدار الى الساحة الكبيرة، عند الجهة الغربية للمسجد، فتمَّ بذلك إزالة دار النابغة تماماً، والتي كانت تضمَّ قبر عبدالله بن عبدالمطلب والمسجد الذي فيها بعد صمودها أربعة عشر قرناً.

مكان دفن عبدالله قبل التخریب:

كما أشرنا سابقاً فقد تحدّث مؤرخو المدينة والكتاب في القرون الأخيرة - كما كان شأن المؤرخين في القرون الأولى - عن مكان دفن عبدالله، سواء أكان ذلك الحديث طويلاً مُسهباً أو قصيراً موجزاً. ومن جملة أولئك علي حافظ وهو كاتب من أهل المدينة، حيث كتب في ذيل كتابه الموسوم بـ«قبر والد النبي ﷺ» يقول:

«ودُفِنَ في المدينة المنورة وقبره معروف لدى أهل المدينة بزقاق الطوال»^(٢٤).

وكتب إبراهيم رفعت باشا المصري يقول: «من الأضرحة التي في خارج

وعند قبر أبيه العظيم، أنها غير منفصلة عن وُجْهتها الأولى، وهي وجود قبر أبيه ﷺ هناك حتى إنه ﷺ كان يزور قبر والدته في حلّه وترحاله، ويسبكي عنده بُحْرَقَةً وألم، فَيُيَكِّي أصحابه وِخْلَانَهُ، وكان كذلك يُقِيمُ الصلاة عند قبر أبيه على رُوحه ويدعو له ويُتَاجِيهِ، سِيّاً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ قَبْرَ أَبِيهِ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ وبالقرب منه وفي تناول يده حتى دُعِيَ ذلك المكان بـ«مسجد دار التَّابِغَةِ» وعُرف واشتُهر به.

والدة السلطان عبدالمجيد خان في عهد السلطان عبدالعزيز خان، وقد صلينا ركعتين في محراب المرقد. توجد كُوة في الجهة اليسرى للمحراب تُفْتَحُ على الجُنَيْنَةِ، بعد ذلك خرجنا من هناك مُتَّجِهِينَ نحو البقيع» (٢٩).

هذا ما كان من بحث الخلفية التاريخية لـ«دار النابغة» من وُجْهتها المُخْتَلِفَتَيْنِ، ويمكن الاستنباط من وُجْهتها الثانية، أي مسألة إقامة رسول الله ﷺ الصلاة في تلك الدار

الهوامش :

- (١) الشعراء: ٢١٨ و ٢١٩.
- (٢) مالك الحنفاء: ص ١٧، نقلاً عن هامش البحار: ١٥: ١٢١-١٢٨.
- (٣) المصدر السابق.
- (٤) المصدر السابق.
- (٥) المصدر السابق: ص ١١٧.
- (٦) الخصال للصدوق، نقلاً عن البحار: ١٥: ١٤٤؛ ومن لا يحضره الفقيه، باب النوادر.
- (٧) كمال الدين، نقلاً عن البحار: ١٥: ١٤٤.
- (٨) صحيح مسلم، ج ١، كتاب الإيمان، باب «بيان أن من مات على الكفر فهو في النار»؛ سنن ابن ماجه، الحديث (١٥٧٢)؛ سنن أبي داود، ٢: ٥٣٢.
- (٩) صحيح مسلم: ج ١، كتاب الإيمان، باب «من مات على الكفر فهو في النار».
- (١٠) ج ٤، كتاب الجنائز، باب «زيارة قبر المشرك».

- (١١) المصدر السابق، ج ١، باب «ما جاء في زيارة قبور المشركين».
- (١٢) ٢: ١٥٩.
- (١٣) ١: ص ١١٨.
- (١٤) التوبة: ٨٤.
- (١٥) عن عبدالله بن مسعود قال: كنتُ نمشي مع النبي ﷺ ذات يوم إذ مرّ بقبر فقال: أتدرون قبر من هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: قبر أمّة، ذلكني عليه جبريل. تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١١٧.
- (١٦) الطبقات ١: ص ٦١، ق ١.
- (١٧) تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١١٦-١١٧.
- (١٨) المصدر السابق.
- (١٩) تاريخ الطبري، طبعة لندن ٢: ٧٦.
- (٢٠) الطبقات ١: ٧٣، ق ١.
- (٢١) وفاء الوفاء ٣: ٨٦٧.
- (٢٢) تأريخ المدينة ٣: ٨٦٧.
- (٢٣) عمدة الأخبار في مدينة المختار: ص ١٩٤.
- (٢٤) فصول من تأريخ المدينة، الطبعة الثانية: ص ١٧١.
- (٢٥) مرآة الحرمين ١: ٤٢٧.
- (٢٦) الرحلات: ص ١٥٢.
- (٢٧) الرحلات: ص ٢٣٢.
- (٢٨) وصف المدينة، مجلة مِيقَاتُ الْحَجِّ، العدد (٥): ص ١١٧.
- (٢٩) يوميات مكّة لحسام السلطنة: ص ١٤٨.